إعـــراض الشبـــاب عـن الــــزواج

الأســـباب والعـــلاج

إنعام عيسى

كلما ارتقينا في معراج المدنيات وتشعبت لدينا المعارف الدنيويـــة ازداد القلـــق فـــي نفوسنا وداهمتنا الحيرة، فطرحت في خاطرنا تساؤلات شتى لم نجد لها أجوبة، ذلك لأننـــا نسينا الله فأنسانا أنفسنا، فإذا بنا في بحر لجي يغشاه موج، وإذا المجتمعات في حالة تفكـك وضياع طغت عليها المادة وساد الطمع وتهشمت المعـــايير الأخلاقيـــة وطمســـت القيـــم الروحية.

لقد بعث الله الرسل هداة ومرشدين ليضعوا، إضافة إلى طرائق الاتصـــال الروحـــي ومعرفة الخالق وطاعته، أسس التنظيم الاجتماعي وفق مشيئته سبحانه وتعالى. فهو الـــذي جعل لكل شيء منهاجاً، فمن ارتضى في حياته النهج السوي اطمأن إلى قدرة الخالق فـــي عونه ودعمه، ليسقط عندها جدار القلق، وتنحسر موجات الحيرة، ومن يتوكـــل علـــى الله فهو حسبه.

من هنا، ننظر إلى المجتمع في صور تفصيلية نستعرض مؤسساته وخلاياه لنقف أمام مؤسسة الزواج، هذه المؤسسة التي تشكل القاعدة الرئيسة في بناء المجتمع وتثبيت دعائمـه واستمراريته، إذ كيف نؤسس لاستمرار الجنس البشري وبقاء الحياة من دون بناء العلاقـة الإنسانية الرئيسة التي نص عليها الخالق جل وعلا بقوله: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم مـــن أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ [الروم: ٢٠].

هذه العلاقة الإنسانية تشكل وسيلة ثابتة وصالحة لاستمرار الجنس البشـــري ضمـــن مؤسسة مبنية على المودة والرحمة، لتعطي الوجود الإنساني بقاءه ضمن معايير أخلاقيـــة وأنماط قيمية.

أن يأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتعفف الصابر حتى يغنينا من فضله، لا يعني بحـــال من الأحوال رهبانية ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يعني عزوفاً مشبوهاً عـــن الـــزواج التجاء إلى أنماط من الارتباط والمساكنة تخرج بأبسط الأمور عن العادات والتقاليد والقيـــم

الاجتماعية التي تؤدي إلى إفساد وفساد المجتمع وتفككه وتفكيكه، ويلغي كل وسائط الربط والتواصل فيه بما يوقع بين الناس العداوة والبغضاء.

لقد توجه الرسول الكريم (ص) في خطابه إلى الشباب بالقول: "**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء**".

توجه إليهم بهذا الخطاب لأنهم مشروع بناء المستقبل ومداميكه، وهم الطاقة التي يعتمد عليها حاضاً إياهم على الزواج دونما وقوع في عجز مادي، فمن استطاع تأمين متطلباته واحتياجاته فليقدم دونما تردد.

فالزواج أغض للبصر، هذا البصر الباحث بقلق ما بين اللذات المحرمة يود اقتطاف شيء كما يفعل اللص. وأحصن للفرج، فلا تسوقه غريزته إلى ارتكاب المعصية التي تفسد عليه دينه ودنياه، فإذا هو أسير الخوف وأزمة الضمير. أما أولئك الذين يرجون عفو ربهم فلهم وقاية ووجاء بالصوم لأنه يلجم الغريزة.

وإذا كان الزواج حاجة جسدية ونفسية واجتماعية يسعى الشباب إليها فيما مضى، ويتوقون لإنجازه، فلماذا يعزف عنه هؤلاء اليوم ويشعرون به عبئاً يثقل كاهلهم وتنوء به أجسامهم؟

إن المتغيرات الاجتماعية والغزو الفكري الغربي لمجتمعاتنا ابتنى نظريات جديدة في ما خص إقامة المجتمعات وتنظيمها، فإذا بنا نواجه آراء تقول بأن الزواج هو تنفيس عن حاجة جسدية نستطيع الوصول إليها دونما ارتباط ومسؤوليات، فرأينا نماذج عن علاقات خارج إطار الزوجية ينتج عنها أحياناً أطفال يواجهون الحياة بلا حماية ولا نصير، فالأم قد تخلّت والأب تهرّب.

أضف إلى ذلك عوامل عدم الاستقرار، فالإنسان كما هو معروف مخلوق اجتماعي يسعى من أجل الاستقرار وبناء خلية خاصة به، فإذا به وفق النظريات المستوردة لا يدري أين أمانه وأمنه وأين مستودع أسراره ومتقل همومه شكواه، فإذا به أسير الانفعالات وحبيس الضياع والتشتت الفكري. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن تفخيخ المجتمعات بالنظريات الليبرالية هو عملية تجويف من الداخل تمهيداً لتفكيكها والسيطرة عليها، وهذا ما يسعى إليه الغزو الثقافي والإعلامي والإعلاني لمجتمعاتنا.

إن انهيار القيم الاجتماعية السليمة في ظل استبعاد الفكر الديني الذي يشكل سنداً اجتماعياً وأخلاقياً وتحصيناً في وجه هذا السقوط ما هو إلا مدعاة للوقوع في متطلبات فراغية. فلقد قال رسول الله (ص): "**إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه**"، وهنا نحن اليوم نبحث عن العريس الغني ولا يهم بعدها إن كان سابحاً في بحار المعاصي والأخلاق الذميمة، أو ضلّ السبيل فلا هو مهتدٍ ولا يعرف طريق الهداية.

هناك العروس التي تشعر بأنها أجمل الفتيات وأفضلهن، يساعدها على هذا المفهوم أهلها، فتطلب مهراً لا قِبل للعريس به، ما يجعله يجنح إلى التردد والعدول عن فكرة الزواج، خاصة في أزمة الغلاء التي نعيشها اليوم، وهناك احتفالات العرس وبهرجته التي قد تحمّل العريس ما يكون يملكه ولا يملكه.

وقبل أن نمضي في سرد العوامل الأساس التي أدت وتؤدي إلى بقاء عدد كبير من الشباب بلا زواج، نقف عند مسألة بدأت تشكل خطراً كبيراً، ذلك أن نسبة الشباب الذين بلغوا السن التي تؤهلهم للزواج وبقوا بلا زواج، تبلغ أضعاف أضعاف الذين تزوجوا وأصبح لديهم أسرة وبيت.

لماذا؟ من خلال مناقشتنا ومحاورتنا بعض الشباب، ومعظمهم من الذين أكملوا تعليمهم الجامعي والتحقوا بوظائف في الحكومة أو في المؤسسات الخاصة، توصلنا إلى معرفة بعض الأسباب التي تكمن وراء أزمة الزواج، والتي تعاني منها الدولة المتقدمة والنامية على حدٍ سواء.

من بين هؤلاء الشباب من قال: "إن الزواج مسؤولية لم نعدّ أنفسنا لها بعد، فلكي نتزوج، لا بد أن نجمع مبلغاً من المال يكفي لتأمين النفقات الباهظة التي يتطلبها هذا المشروع، ونحن لم نبدأ حياتنا العملية إلا منذ فترة وجيزة، ولم تتح لنا الفرصة للإدخار بعد، بسبب نفقات الحياة الباهظة.. فالأسعار في ارتفاع مستمر، بينما الأجور باقية على مستواها، ولم تزد بالنسبة التي تتطلبها الزيادة في تكاليف المعيشة".

إن مشكلة توفير المال اللازم لبدء الحياة الزوجية، لا شك جديرة بالاهتمام، لكنها ليست بغير حل.. فكل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر، حتى الحياة نفسها.. فلماذا لا يبدأ بيت الزوجية بأبسط الضروريات بعيداً عن المظاهر والبهرجة؟

وقال البعض: "إن أزمة المساكن هي السبب الرئيس في استبعاد فكرة الزواج من أذهاننا.. إننا لا نستطيع أن نتصور أن نبدأ حياة جديدة بعد زواجنا في منزل أسرنا أو أسر زوجاتنا.. فالزواج استقلال عن الأسرة، ونحن لا يمكن أن نستقل في حياتنا إذا عشنا مع أسرنا تحت سقف واحد.."

ومنهم من قال: "ليس لدينا وقت للزواج.. إن أعمالنا تستوعب وقتنا وتفكيرنا وحياتنا لنتماشى مع الواقع المرير".

والبعض الآخر أعرب عن رأيه في أنهم يخشون التجربة، ويشفقون على أنفسهم من النتائج التي قد تترتب على فشلهم فيها، إلا أنهم لم يذكروا سبباً واحداً يبرر هذه المخلوف. كل ما في الأمر أنهم يهابون الزواج.. هؤلاء يعانون من عقدة نفسية، فهم لا بد أنهم عرفوا فشلاً قريباً منهم، أو عاشوا التجربة عن كثب بكل تفاصيلها.

على أن نسبة كبيرة من هؤلاء العازفين عن الزواج، تمنوا لو أن ظروفهم العائلية سمحت لهم بالزواج، ولكنهم مضطرون لاستبعاد الفكرة من رؤوسهم الآن بسبب اعتماد

أسرهم عليهم في إعالتهم والإنفاق عليهم.. إنهم يتصورون أنه ليس هناك امرأة تقبل الزواج بهم ومشاركتهم حياتهم.. وهو تصور خاطئ، مبعثه الأساس، المسؤولية التي يشعر بها مثل هؤلاء تجاه أسرهم.

تلك كانت إجابات الشباب، لأسباب تخرج عن إرادتهم، فكيف نعالج هذه الأزمة؟ ثم كيف نشجع الشباب على الزواج، ونزيل من طريقهم تلك العقبات التي أدت وما تزال تؤدي إلى ارتفاع مستمر في عدد العزاب في معظم دول العالم، كما تؤكد نتيجة الإحصاءات التي تقوم بها أكثر من هيئة وعلى فترات متباعدة.

ولإزالة العقبات من طريق الشباب وتشجيعهم على الزواج، هناك عدة اقتراحات أجمع عليها لفيف من العلماء والباحثين الاجتماعيين المهتمين بشؤون الأسرة ومشاكل الشباب التي تهدد المجتمع وتهز بناءه من أساسه.

من هذه الاقتراحات:

١. أن تعطي الحكومات أو الهيئات الاجتماعية الأهلية قروضاً تشجيعية لكل شاب ينوي الزواج، فهي تستطيع أن تساهم في تنظيم الأسرة إذا كانت هذه القروض ميسرة، أي أن الزوجين لا يبدآن بسدادها إلا بعد مضي خمس سنوات على الأقل.

٢. على الحكومات أو الهيئات الأهلية توفير المساكن الصحية لكل زوجين شابين، بإيجار يتناسب مع دخلهما البسيط، وأن تعطي الأولوية دائماً في استئجار مثل هذه المساكن للأزواج الجدد، وتتولى بعض الشركات تأثيث بيت الزوجية تأثيثاً بسيطاً وجميلاً، على أن يقوم الزوجان بسداد ثمن هذا الأثاث على أقساط شهرية متباعدة، لا ترهق ميزانيتهما.

٣. تشجيع الزواج المبكر حفظاً للقيم والأخلاق والبعد عن المعاصي التي تسيء إلى الفرد والمجتمع على حد سواء.

فالزواج واجب يؤديه الفرد إزاء نفسه وإزاء المجمع، لكن ليس صحيحاً أنه يتعارض مع واجب أصحاب المهن وغيرهم ممن أحبوا مهنتهم وأعطوها كل وقتهم وجهدهم، فعزوف هؤلاء عن الزواج بدعوى أن وقتهم لا يتسع له، قول ينطوي على الأنانية، حتى لو كانوا يعملون من أجل المجتمع الذي ينتمون إليه.. أمثال هؤلاء يسعون إلى الشهرة والمجد ولا بأس في ذلك فطموح الإنسان لا يقف عند حد، ولكن لماذا لا يكون هناك شخص آخر قريب منه عزيز لديه، يشاركه هذا النجاح والمجد؟

من هنا، إن الزواج مسؤولية لا شك في ذلك، ولكنه مسؤولية طبيعية تفرضها التقاليد والدين والمجتمع، وليس صحيحاً أن الزوج وحده هو الذي يتحمل هذه المسؤولية، فالزوجة أيضاً تشارك في تحملها، بعملها في البيت أو خارج المنزل.

أضف إلى تلك العقبات التي ذكرها بعض الشباب الذين أظهروا تردداً في الإقدام على الزواج، عقبات أخرى تستحق الاهتمام فعلاً، منها:

١. البعد عن القيم والأخلاق وانتشار روح الاستهتار التي انتابت الكثير من الشباب، وجعلتهم لا يبالون بما هم فيه من خروج عن حدود الله وما يقضي به المنطق والأخلاق الفاضلة، وأصبح ما يستنكر شرعاً وعرفاً عملاً مألوفاً يباهى ويتفاخر به، وأصبح الفرد منهم لا يدفعه إلى الزواج حرص على حفظ دين أو تحصين نفس أو صون عرض أو حسن سمعة.

٢. بعد الشباب عن الهدف الصحيح الذي يقصد الزواج الوصول إليه، أصبح معظمهم إنما يقصد بالزواج مصاهرة ينتفع من ورائها بمال أو منصب أو جاه أو أية مصلحة مادية، كذلك الشابات أكثرهن يقصدن بالزواج مظاهر البذخ والترف.

٣. تغالي كثير من الأسر في المهر والجهاز وحفلة الزواج.

٤. تخوف الشباب من متطلبات الزوجة، خاصة الكماليات، وسائر ما لا تدعو إليه ضرورة ولا حاجة.

٥. تخوف الزوجة من إهمال الزوج بما يجب عليه لزوجته وأسرته وإنفاقه ماله على غيرهم.

٦. تخوف العديد من الشباب من مسؤوليات الزواج، خاصة بعد إنجاب الأولاد وهذا من أضعف الإيمان، لأن المستقبل بيد الله عز وجل.

٧. الوضع الاقتصادي الذي لا يسمح للفرد بتأسيس منزل وتكوين أسرة نظراً للحالة المعيشية الصعبة التي وصلنا إليها والتي لا تسمح بإدخار ولو مبلغ زهيد لإنشاء هذه المؤسسة.

من هنا، أتت عناية الإسلام بالزواج من خلال شريعة الله في خلقه، هذه الشريعة التي تبين أن الخلق كله يقوم على التزاوج فيما نعلم وفيما لا نعلم، قال تعالى: ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**﴾ [يس: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾ [الذاريات: ٤٩].

وأخيراً يتحمل المجتمع مسؤولية كبرى في استعادة الشباب إلى حضن الاستقرار وبناء الخلية الاجتماعية الأساس ببناء الأسرة والزواج من خلال إنشاء مؤسسات أهلية جادة تعنى باحتضان الشباب وتأمين احتياجاتهم قرضاً حسناً يسدد وفق قدرات الدخل، على أن لا تصبح هذه المؤسسات مشاريع تجارية تنحو نحو الجشع، فتعيد الحال إلى ما هو عليه، بل إلى الأسوأ.